بالاستبداد والاهلية . الا هذه الصفات المرضية . ثم ما هي لذة طول العمر بدون الذكاء والفطنة . ومع فقد العفة والاستقامة . والصحة والعافية . الا ان الموت خير من الحياة التعيسة . بفقد هذه الصفات النفيسة . على ان طول العمر مع عدم الصحة والعافية محال . كما ان الصحة مع فقد العفة غاية لا تنال

﴿ استنهاض همم ﴾

(١٣)

(مكدونيا) لا تقرأ صحيفة من صحف الاخبار الطائرة في هذه الايام (*) الا وترى فيها ذكر مكدونيا والقلاقل التي تدوي فيها وان أهلها يتطلبون اصلاحات داخلية او امتيازات ادارية وكأنهم طمحوا الى هذه الرغبة وسموا بابصارهم الى تلك الامنية منذ رأوا فوز الكريديين ونجاح طلبتهم وما بالهم لم يعتبروا بحنية الارمنيين واخفاق مأمولهم ولا نعلم اذا كان مسلموا الارنؤوط على وفاق مع ثائري مكدونيا في هذا الطلب أو ليسوا على وفاق معهم ؟ يغلب على الظن انهم متواطئون جميعاً على القيام بهذا الشأن والا لحصل بين القبيلين جدال أو جلاد وجرى ما كان يجري بين الاكراد والارمن منذ تمنى هؤلاء على الدولة الاماني وعارضهم اولئك وكيف نتيجة حوادث مكدونيا يا ترى ؟ يظهر ان مقاطعة مكدونيا ربما نالت اصلاحات خاصة أو امتيازات داخلية تكون بمثابة استقلال اداري كما هو الشأن في سائر ولايات البلقان وفي كريد أيضاً ولا يوجد في طريق هؤلاء من العثرات ما وجد في طريق الارمن . ليس بينهم من يأخذ باكظامهم ويحفر لهم الحفائر كما كان من مقاومة الاكراد للارمن ولا تناخم بلادهم احدى الدول القوية لتعارضهم الآن وتمالئ الدولة العلية عليهم فتزعجهم وتقمعهم وتنتظر هي ان تلتهمهم كما فعلت الروسية مع الارمن في ثورتهم فانه يجاورهم من الشمال ولايات البلقان ومن

(*) يريد بهذه الايام ايام كتابة الرسالة وقد مضى عليها شهور اما الآن فقد سكنت الفتنة بحكمة مولانا السلطان الاعظم أيده الله تعالى ولكن القوم قد نغلت نياتهم ولا بد ان يعودوا اذا نفخ الاجنبي الرماد عن نارهم

بالجنوب اليونان وكلهم ليسوا ممن ترهب صولته أو تخشى شرته وان كانت لهم مهارة في إثارة القلاقل وحذق في ايقاظ نائم الفتن . نعم ان للنمسا شيئاً من جوار لمكدونيا بواسطة البوسنه والهرسك غير ان النمسا الآن لا تود ان تغيظ الدولة العلية ولا ان تثير عليها حنق احدى الدول الاوربية فهي تواطئ الروسية في حادثة مكدونيا وتتابعها متابعة الظل وسياسة الروسية هي حفظ الحالة الحاضرة في تلك الولاية بمعنى ان تبقي على تابعيتها الصرفة للدولة العلية ولا نعلم اذا كانت تحافظ على سياسة الحياد هذه أو يبدو لها فتعضد اهالي مكدونيا وتروج طلباتهم لدى الدول كما فعلت في كريد . المرجح الاول لما ان القيصر الآن يبذل مجهوده في توسيع نطاق نفوذه في اصقاع الشرق الاقصى ويهتم في شأن المؤتمر الذي ينظر في المشروع السلمي الذي اقترحه على الدول فمساعدته لثوار مكدونيا ربما كانت منافية لمشروعه لما ينشأ غالباً عن تأييد مطالبهم من ايقاظهم في الشر والفظائع وارتكابهم مايزيل الامن ويخل بالسلم وحادثة كريد اقرب شاهد على ماذكرنا فقد استبان لك الآن مما تقدم ان مصير مكدونيا في الغالب هو الاستقلال الاداري . أما ولايات الارمن والاكراد فمصيرها يتردد بين الاستقلال الاداري وبين الاندماج في السلطة الروسية واما الولايات العربية فمصيرها الى مهاوى التغلب الاجنبي — كل ذلك اذا تقاعدت الحكومات الاسلامية عن الحلاف والموازرة وبقيت الحكومة العثمانية على الحال التي نذوق مرارها ونشاهد آثارها ونسأل الله تعالى ان يحولها الى احسن حال

اذا فار التنور ووقع المحذور وتجردت الدولة — لا كان ذلك — عن تلك الولايات فاجدر بها ان تحافظ على ولاية الاستانة التي هي معدن العنصر التركي ومهد مفاخره التاريخية فتنهض القسطنطينية حينئذ بما على جنابتيها من البرين الروملي والاناضول نهوض الطير بجناحيه

قال الكاتب — اعترض الحديث حينئذ بعض من حضر وقال ان عجز العثمانيين عن حماية سائر الولايات مؤذن بعجزهم عن حماية ولاية الاستانة أيضاً فاجبته (*) ان نصرة

(*) هذه الرسالة كانت بسط الحديث جرى للكاتب في ملأ من اهل سوريا كما تقدم ومايقوله في الجواب من ان سلطة الترك لا تزول هو رأي له قديم وهو معجب بالاتراك اعجاباً كبيراً كما ترى في كلامه ومن يعرف القوم يعطيه الحق

المرء وحفاظه في الدفاع عن جسمه وشواه (اطرافه) تكون أشد من حفاظه في الدفاع عن سرابيله. وقص الذيل والردن أهون على النفس من جدع الانف وصلم الاذن فما بالك اذا آنس المرء من آخر غارة في اختلاس مهجته والايداء بحياته لاجرم انه يستميت مستبسلا ولا يموت مستسلماً ومن أخص غرائز القوم البسالة والحمية وقد هذبهم الملك ودربتهم الآداب العسكرية وفي نصف القرن الماضي (الهجرى) قام بينهم رجال احتطوا للاتراك خطط التقدم وأشرعوا لهم من السياسة وحسن الادارة مناهج لولم يتنكبوها لاشرفت بهم على الغاية وأوصلتهم الى بحابح السعادة حيث ترتع الامم المتمدنة (١) ونبغ فيهم خطباء وكتبة اذكياء فكوا عن اللغة التركية اغلال الركاكة والتعقيد واطلقوا لسانها في الخطابة وقلمها في الكتابة واشعروا قلوب الناشئين والفتيان حب الحرية والوطن حتى كثر اللهج بهاتين الكلمتين بين القوم في اشعارهم وضروب كتاباتهم ولا تزال تلك الروح منبثة في الامة التركية مادامت آثار أولئك الكتبة يدوي صداها في اصماخ الناشئين وتصل نغيتها الى سويدا واتهم — مادام اولئك الناشؤن يتذامرون (٢) بمثل قول سياسيهم الشهير « نحن العثمانيين فتحنا القسطنطينية بثلاثة الاف رجل ولا نسلمها الا اذا بقي منا ذلك العدد » لاتشفقن على تلك الروح من ثقل الضغطة وشدة الوطأة فان حجر الماس لايفتته صدم ولا يسحقه صك بل لايفرك سعي الساعين في ازهاقها ولا تأميلهم استلالها من بين اللحم والعظم والمصل (٣) والدم فان السعي في استبعاد الامة وهضم حقوقها قد يتسنى للعامل بواسطة حجب نور العلم عن عقولها واستئصال جراثيم الفضائل من نفوسها لكنه لن يتسنى له ذلك قط بواسطة محو النطق من النفوس واختلاس العقل من الرؤوس والا لم يكن راعي بشر بل راعي بقر. هذا المعنى (٤) الذي قام في

(١) المنار — نقول انما لم ينجحوا بتلك المناهج لانها اتباع لخطوات اوربا حتى في الاعراض عن هدي الدين ولو أشرعوا لهم منهاجا اسلامياً واحداً لتم لهم مايريدون (٢) أي يتحاضون ويحث بعضهم بعضاً على الاقدام (٣) المصل اعظم الاجزاء التي يتركب منها السائل الدموي (٤) يريد بهذا المعنى ما أسنده الى سياسيهم الشهير من قوله « نحن العثمانيين » الى هنا وهي معاني يرادبها شيء واحد والسياسي الشهير هو كمال بك رئيس النهضة القلمية

نفوس العثمانيين وأشربوه في قلوبهم حل من فطرتهم محل الادراك والنطق . ان قدر احد على انتزاع الادراك من الفطرة الآدميـة كان قادراً على انتزاع ذلك المعنى من نفوس القوم وقلوبهم

هذه المزايا التي ذكرنا التصاقها بنفوس العثمانيين ومزاجتها لارواحهم هي التي تحملنا على الحكم ببقاء دولتهم ودوام أمرهم واقتدارهم على حفظ استقلالهم من صولة الصائل ولا نخال ان شيئاً من ذلك متوفر في مسلمي الولايات العربية او معروف لديهم لان التعليم المدرسي يكاد يكون مفقوداً من بينهم وتهذيب النشء والأحداث امسى مقتصراً على نفر منهم وعلى غـير الوجه الذي ترجى فائدته لهم . اما لغتهم التي يضرب بها المثل في اتساع نطاقها وتشعب أفانينها فقد اكتفوا منها بقطر من بحر وكلمة من سفر حتى أضحت اشبه باللغات الميتة التي وظيفتها تصحيح العبادات وتفهيم النصوص الدينية وحل أساليب الكتب القديمة ولولا استحداث الجرائد بين المتكلمين بها لكانت أسوأ حالا وأظلم مآلا ولحاكت اللغة الكرشونية التي يزاول بها الكهنة وظائفهم الدينية . ولم يقم في العرب رجال درسوا السياسات وتخرجوا في أعمالها كي يلقنوا شعبهم شيئاً من مبادئها ويلقوا في نفسـه بذور الاصلاح ويعرفوه كيف يكون نظام هيئة الاجتماع وكيف يحافظ على الحقوق ويطالب بها ولم ينبغ بينهم كتبة او خطباء او ذوو نباهة من العلماء يطلقون افكار الشعب العربي من سلاسل الاوهام ويطهرون نفوس آحاده من لوث الخرافات ويميطون عن أبصارهم غواشي التقليد الاعمى الذي يطوح بالامم الى عماية العدم . منزلة الخطابة في الامة منزلة الارادة من الشخص فاندفاع المرء في أعماله وتقلبه في تلمس مصـالحه وانبعاثه في انفاذ مقاصده انما يكون على قدر ماعنده من قوة الارادة ومضاء العزيمة فاذا قويت الارادة فيه بحيث اضحت تتسلط على ضعف نفسه وتكفكف من جماح هواه بشره بالنجح وسداد الاعمال وانتظام المعيشة اما اذا ضعفت تلك الارادة فيه وتضاءلت دون مقاومة اهواء نفسـه وتقليص غشاوات جهله تحكمت حينئذ فيه تلك الاهواء وسلطت عليه الرذائل فتفسد اعماله ويسوء مصيره كذلك حال الامـة ومزية الخطابة فيها وتأثيرها في نفوس آحادها . اذا رأيت امة كثر الخطباء فيها وانطلقت السنتهم في هدايتها لما فيه خيرها وتدروا

بسبب ما أوتوه من البلاغة وقوة الخطابة على تحويل افكار الشعب وتصريف مهابها من جهة الى اخرى وتمكنوا من هيج النفوس الجامدة واستثارة الحفائظ الخامدة يوشك ان تنهض تلك الامة من غفلتها وتقتحم الاخطار في سبيل صيانة شرفها ووقاية مصالحها والذود عن استقلالها . فكر ماذا يكون حال الامة التي تفقد صدى الخطابة في نواديها وتهدأ شقاشق الخطباء على منابرها، أجدر بأن تكون حالتها كحالة الاخرس يعجز عن أفهام ما في نفسه . الاخرق لايحسن شيئاً من الاعمال . التلاّب يشرع بعمل فلا يلبث حتى يدعه ويشرع بآخر او هي كالطفل لاارادة له تلهمه سداده وتقيه من الغوائل بل كالنفش السارب والهمل المرسل لاراعي له يجمع متفرقه ويهدي ضاله وينعق بالسابق المتقدم يسترجعه وبالمتخلف المتباطئ يستحثه

وبالجملة ان وسائل النهضة لم تتوفر بعد في مسلمي العرب كما توفرت في الاتراك فلذا كان مستقبل هؤلاء على مقربة من النجح والاستقلال ومستقبل اولئك فيه شوب من غموض وعليه غواش من ظلام . ولولا ما امرنا الله به من الثقة بوعده وآذننا بالتسجيل على اليائس من روحه بالكفر مع ما نستحسه لهذه الآونة من اهتزاز خواطر البعض من نبهاء الامة في اصلاح شأنها وتموّج نفوسهم في العمل لانهاضها وتقوية ذمائها (هو الحركة وبقية الحياة) — لولا ذلك لما خامرنا ريب في هويها ولم يعترضنا شك في امحاء جنسيتها وانغمامها في غمار الامم المتغلبة

الاصلاح المالي

قليل من الحقائق عن تركيا في عهد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني

(تابع مالية الدولة)

بقي علينا مما نسرده على القراء من تحويلات القروض العثمانية سرداً سريعاً الكلام على مشروع قد تقرر مبدأياً ولاشك انه لايمضي عليه زمن حتى يتم انفاذه وهو اصدار سهام لقرض قدره خمسة ملايين جنيه انكليزي ربحها ثلاثة في المائة واجر استهلاكها